دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها (تابع)

٣ً دير مار انطونيوس البدواني

في اسفل القرية ، في الناحية المسماة « الوادي » ، يرى الزائر ديرًا جديدًا مسقوفًا بالآجرّ للرهبانية الحلبية على اسم القديس انطونيوس البدواني ، وحوله املاك له من بيوت للشركاء بالمساقاة ، واراضي توت وفواكه وكروم واحراش. كان المكان المذكور في بدء الامر بُقعة باثرة فاشتراها الخوري انطون الحاج[1] واصلحها وحرثها وغرس فيها توتًا ، وبنى بيتًا لتربية دود الحرير ، وبقربه حجرةً صغيرة معقودة بالحجارة طولها اربعة اذرع ، جعلها معبدًا يقيم فيه الذبيحة الالهية عند الاقتضاء . ونصب على المذبح صورة القديس انطونيوس البدواني. ولما توفي سنة ١٨٢٧ ، أهمل ورثته المحلّ ولم يحفلوا به ، فخرب البيت واندثر ، ولم يبقَ قائمًا من البناء الّا الحجرة . ففي سنة ١٨٦١ ، استولى على امرأة موسى سركيس مخلوف المخاض وتعسرت ولادتها كل التعسر حتى يئس الحاضرون من خلاصها ، فلما رأتها والدتها في حالة الخطر اخذت تصلي وتتوسل الى الله بحرارة ان يمنّ على ابنتها بالشفاء ، واذ هي كذلك خطر ببالها الحجرة التي كانت معبدًا ، وكانت قريبة من بيتها ، فقامت مسرعة لزيارة القديس انطونيوس وبيدها سراج لان الامر كان في الليل فوضعت السراج مضيئًا على المذبح وشرعت تسأل الله شفاء ابنتها بشفاعة القديس ، فاستجاب الله طلبتها ، ولما

---

١) وُلد نحو سنة ١٧٧٠ .

رجعت الى بيتها كانت ابنتها قد ولدت . فذاعت هذه الحادثة بين سكان الجوار فصاروا عند وفود الطوارئ ، يهرعون الى ذلك المعبد الحقير مُسرجين سرجاً يَدعونها على المذبح ومستشفين بالقديس فينالون شفاعته[1] . واننا لذاكرون على سبيل المَثل واحدة من تلك الكرامات : كان لترنسيس حنا منصور ولد مرض ، وهو طفل ، حتى اشرف على الموت ويئس الطبيب من شفائه ، وابى معالجته ، فحمله ابوه على ذراعيه الى ذلك المعبد ووضعه امام المذبح واخذ يبتهل الى القديس ، فتعافى الولد ببرهة وجيزة . فزادت هذه الحوادث المكان سمعةً ، وحملت المؤمنين على ان يقدّموا دراهم ويلقوها على مذبح القديس ، وكان موسى سركيس الذي نال خلاص امرأته في مخاضها يتردّد الى المعبد لقربه من بيته ويجمع تلك التقادم حتى اصبحت كمية غير يسيرة ؛ فأطلع الخوري يعقوب الحاج على الامور الغريبة التي اشتهرت هذا المكان واثبت له صحتها ، فاستلم الخوري يعقوب المال المجموع واوعز الى موسى ان يحفظ عنده تبرّعات المؤمنين وبدأ يحتفل بالذبيحة الالهية في الحجرة كل سنة في عيد القديس الواقع في ١٣ حزيران، فيتوافد جمع غير قليل من دلبتا وشنتير وجوارهما لحضور الذبيحة تحت خيمة من اغصان الاشجار يقيمونها لضيق المعبد ، وكان البعض يمتنع عن الاشغال الخدمية يوم العيد ولا تزال هذه العادة مرعية الى الآن . وفي سنة ١٨٦٥ بنى الخوري يعقوب كنيسة على اسم القديس انطونيوس والقديس الفونسيوس دي ليكوري الذي كان متعبداً له في محل مرتفع عن الحجرة نحو ٥٠ ذراعاً ، واستحضر سنة ١٨٦٨ من رومية ، بواسطة المطران امبروسيوس نطين ، صورتي يد من نوع الزيت احداهما للقديس انطونيوس والاخرى للقديس الفونسيوس وعلّقهما فوق المذبح ، وكان ثمنهما ٢٤٠٠ غرش . ولما توفي سنة ١٨٧١ اوصى لهذه الكنيسة بكل ما له من الكتب والآنية الكنسية ، ومن ثم اخذ سكان دلبتا يحذون

---

١) قال الخوري منصور في النبذة التاريخية : «كان يبقى السراج موقوداً حتى فروغ الزيت منه مع ان الحجرة معرّضة جداً للرياح والعواصف حتى ان الفتيلة كانت تبقى دون ان تأكلها الهوامّ والوحوش البريّة . قيل ان ذات ليلة اتى ثعلب ليأكل فتيلة سراج فات حالاً قرب السراج ».

حذوه ، فوقفوا بعض ما لهم من الاملاك . وفي السنة عينها شاء المطران يوحنا الحاج ابن الخوري يعقوب ووارثه ان يعهد في خدمة الكنيسة واملاكها الى القس مارون روفائيل الدلبتاوي من الرهبانية الحلبية ، فانصبّ هذا على حراثة الارض وغرس كروماً تحت الكنيسة وعقبه في الولاية سنة ١٨٧٥ القس لويس فرج باسيل الدلبتاوي من الرهبانية الحلبية ايضاً فابدى غيرة حميدة واشترى جرساً من تبرّعات المؤمنين وحرّض اهل دلبتا على الاحسان الى الكنيسة فقطوا[1] وفي سنة ١٨٩١ لدى البطريرك يوحنا الحاج ليسلم الى رهبانيته الكنيسة وما لها من الاملاك ففاز ببغيته ، ورضي البطريرك . وعندئذ شيد القس لويس انطوشاً لسكنى من يخدم الكنيسة . ولما كانت سنة ١٨٩٣ اهتم الرهبان الحلبيون الدلبتاويون لنقل الدير الى حيث هو الآن فتمّ بنيانه سنة ١٩٠٢ ، وهذا الدير مبني على الطراز الحديث بالحجر الابيض النظيف مسقوف بالقرميد . وباشر المذكورون سنة ١٩٠٤ اقامة الكنيسة الحالية بقرب الدير ، وهي ايضاً مسقوفة بالقرميد طولها ١٥ متراً وعرضها ٨ امتار[2] . واما اليوم فقد فقدَ الدير سكانه ، واصبح من سوء الحظ خاوياً خالياً ، ولم يبقَ واحد من العشرة الرهبان الدلبتاويين في قيد الحياة . وخربت اراضيه بيوت الشركاء في ايام الحرب الكبرى .

٤ً دير سيدة الحقلة

ان دير سيدة الحقلة هو وقف لعائلة ديب من دلبتا ولها عليه حقوق الولاية ، تسكنه راهبات تابعات لقانون رهبان القديس انطونيوس ، متقشفات جداً في مأكلهنّ ، فيقضين اغلب ايام السنة في الصيام والقطاعة ، وفي لبسهنّ فيتشحن بثوب من الصوف او القطن الاسود ، ويتمنطقن بزنار من الجلد ويمشين بلا حذاء ولا جوارب عند تقربهنّ اليومي الى المائدة المقدسة حتى في ابرد ايام الشتاء ، ويمكثن اكثر ساعات النهار في الكنيسة منقطعات الى الصلاة والتأمل ومن

١) النبذة التاريخية ص ١٢٨ وما يليها .
٢) عن سجل الدير المذكور .

اكبر واجباتهنّ اليوميـة ، تلاوة الفرض الطقسي الماروني « المطوّل » باللغـة السريانية حسب الساعات من الصبح الى النهار الى العصر الى المساء الى الليل ، وذلك بالانتظام والالحان المألوفة وزد على ذلك تحصّنهنّ فلا يسمح لهنّ بالجولان خارج ارزاق الدير القريبة.

وقد ابدت العذراء مريم عناية جزيلة بكنيسة هذا الدير ، فجادت فيها بنعم غزيرة وعجائب عديـدة خصوصاً على من كان عاقراً او خولط في عقله. فذاع صيت المكان ويقصد اليه الزوار المؤمنون من كل انحاء لبنان بل من حلب والشام وفلسطين. وداخل السور المحصّن بعض غرف لقبول النساء المتوهات تهتمّ بهنّ الراهبات كل الاهتمام في الخدمة والاكل والتنزه فيخرج اكثرهنّ معافىً.

ولهذا الدير ديران اخران ملحقان به وتابعان له وهما دير المخلّص في دلبتا ، المدعوّ « دير الغص » ودير سيدة مستيتا قرب جبيل.

بُني دير سيدة الحقلة سنة ١٦٧٠ بعناية القس يوسف اصاف. اما المكان الذي شُيد فيه فوقفه ابو يوسف الياس ديب وقد كان له في بدء الامر بعض الاختلاط مع وقف مار عبدا المختصّ بعائلة اصاف ويثبت قولنا بعض الوثائق القديمة التي ترى فيهـا احياناً رؤساء الوقفين من عائلة اصاف ، واحياناً رئيساً واحداً من عائلة اصاف على الوقفين[1] . وقد عثرتُ في كنيسة الدير المذكور على براءتـين الاولى من البـابا اكليمنضوس العاشر مؤرخـة في ٢٤ تموز سنة ١٦٧٥ ، فيها يمنح مذبح العذراء مريم « في كنيسة رهبان مار عبدا التابعين لقوانين مار انطونيوس انعام المذبح الممتاز على مدة عشر سنين » ، والثانية من البابا اينوشنسيوس الثاني عشر مؤرخة في ٣٠ تموز سنة ١٧٠٠ فيهـا يمنح جميع المؤمنين غفراناً كاملاً ، اذا ما اعترفوا وتناولوا القربان وصلّوا على نيـة الحبر الاعظم وزاروا بعبادة « كنيسة سيدتنا العذراء مريم في دير رهبان مار انطونيوس

---

١) سجلات البطريركية المارونية ، المجلد الثاني صفحة ٦٧. ترى في وثيقة مؤرخة سنة ١٦٧٢ الخوري يوسف اصاف رئيساً على دير سيدة الحقلة ، والخوري متوق اصاف رئيساً على مار عبدا. وفي وثيقة مؤرخة سنـة ١٦٨١ ترى الخوري يوسف اصاف « رئيس الديرَين مار عبدا والحقلة ».

المسمّى سيدة الحقلة في يوم عيد انتقالها الواقع في ١٥ آب وذلك من عشية العيد عند العصر الى يوم العيد عند غروب الشمس » وهذا الانعام معطى ايضاً لمدة عشر سنين فقط . وكان يقيم في قسم من الدير رهبان ، وفي القسم الاخر راهبات حسب عادات الاديرة القديمة ، فالراهبات ينقطعن الى الاشغال الداخلية والرهبان يعكفون على شغل الارض واستثمار الاملاك بعد تتميم الواجبات الروحية والرهبانية . وسنة ١٧٣٦ قدم المسيو يوسف السمعاني من رومية ليترأس المجمع اللبناني باسم الحبر الاعظم وقد اجتهد كثيراً في فصل ادیرة الرهبان عن اديرة الراهبات وممّا صار الاتفاق عليه امامه وبتصديقه هو ان « الخوري بطرس الريس وباقي رهبانه في دير الحقلة يشتركوا مع رهبان دير البقيعه[1] الخوري صابر ورهبانه وبرضى المذكورين يكونوا الديرين ديراً واحداً ويختصّ دير الحقلة بالراهبات ودير البقيعة للرهبان تحت يد رئيس واحد ويتدبروا الراهبات بموجب رسوم وقوانين الراهبات ويتدبّر دير البقيعة بموجب رسوم وقوانين الرهبان لا تغيير ولا تبديل . كان ذلك برضى حضرة المشايخ الخوازنة اولاد ابو نوفل المكرّمين حكام الديرين[2] ».

غير ان هذا الاتفاق لم يوضع حالاً في حيز العمل بل وجد امامه عقبات شاقة وتأخر تنفيذه الى ما بعد انتهاء مجمع اللويزة . ولما كانت سنة ١٧٤٤ توفي القس بطرس المشمشاني رئيس الدير ، فخلفه القس بطرس ديب وهو اول رئيس من عائلة ديب ، فكد وجد في تكثير موارد الدير وزيادة املاكه ، فنجح النجاح التام وبنى ١٧٦٥ كنيسة الدير الحالية ، بمعاونة القس يوسف باسيل المعرابي . ونال من الامير يوسف شهاب سنة ١٧٦٦ ، مزرعة مستيتا ، كما ستذكر

١) دير البقيعة يُعرف الان بدير مار روحانا قرب قرية دلبتا .

٢) سجلات البطريركية الماروتية المجلد الثاني صفحة ١٦٦ : قد امضى صك الاتفاق المذكور « المسيو يوسف السمعاني قاصد قدس الحبر الروماني والكرسي الرسولي المقدس . الحقير في الرؤساء عبدالله مطران مدينة بيروت . الفقير اليه تعالى المطران اغناطيوس شرابيه . الحقير في الكهنة توما اللبودي اب عام رهبان مار انطونيوس اللبناني . الخوري بطرس رئيس دير الحقلة من مشمش . الخوري صابر رئيس دير البقيعة من مقلين . القس حنا الراهب من دلبتا . . . انطانيوس الخازن . سليمان الشدياق الدحداح » .

ذلك في ترجمته في غير هذا المكان وفي تلك السنة عينها ألحق الامير يوسف بدير الحقلة دير مار دوميط البوار ، وذلك اكراماً للقس بطرس ديب الذي كان له في عينيه حظوة كبرى . وقد جاء في وصية القس بطرس المذكور انه اخذ «مار دوميط ومستيتا من سعادة الامير يوسف شهاب المحترم وان المواضع المذكورة باسم سيدة الحقلة وهم لها مثل المفيسل التي في وطا الجوز وما قام هل مطرح المذكور الا من رزق سيدة الحقلة ووقفها ونذوراتها وبسعي رئيس دير السيدة القس يوسف باسيل وبسعي الخوري بطرس وبتعب رهبانها والموضع المذكور صار ملك من بعض املاك السيدة المذكورة مثل التوت الذي قدام مقامها ، وكان اخذ المطارح بسعي حضرة وندنا المرحوم الشيخ منصور الدحداح وقرايبه[1] » . غير انه وقع سنة ١٧٦٨ خلاف بين رهبان دير سيدة الحقلة واكثرهم من دلبتا ، ورهبان دير مار دوميط واغلبهم من عائلة ضو . فانقسم هؤلاء عن اولئك ورُفعت شكوى الى البطريرك يوسف اسطفان الذي اصدر سنة ١٧٧٣ حكماً بالانفصال .

وقد حدث في دير سيدة الحقلة سنة ١٧٦٧ حادث كان داعياً لتمجيد العذراء مريم ولتوفير اموال الوقف ، وهوذا الخبر ملخصاً عن تاريخ المقاطعة الكسروانية : انصدع جرس الدير بينما كان يقرعه القس سركيس العشقوتي[2] فاستولى على الراهب حزن شديد لانه سبّب هذه الخسارة الجسيمة فخطر بباله ان يتوجه الى اوربا ويجمع الصدقات ويُعوّض الدير من الضرر الذي اصابه ، فعرض فكرته على رئيسه القس بطرس ديب ، فرضي بها . وبعد ان نال من البطريرك اجازة بالسفر نزل الى بيروت فوجد سفينة على اهبة الرحيل الى النمسة فسأل ربانها ركوبها فلبى طلبه بعد ان اطلع على مقصده الحميد وتوسم فيه الصلاح والتقى ولما بلغت السفينة المرفأ سار الراهب الى ڤيانا العاصمة ، واخذ يجول فيها ويمدّ كفه مستعطياً . ولما كان يجهل لغة البلاد كان الناس يتبرعون

---

١) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني صفحة ٢٠٦ .

٢) ان القس سركيس هو من عشقوت من عائلة عطا الله المعروفة الآن « ببيت الشدياقية » قدمت هذه العائلة من بحشوش غير ان اصلها الاول من يانوح .

بالحسنات لمجرّد نظرهم اليه اذ كان يبدو على وجهه دلائل التقشف والتواضع والورع وفي تلك الاثناء اعترى ابنة الملكة ماريا تريزيا[1] مرض ثقيل اعيا الاطباء ، فتقدم احد الموظفين في البلاط الملكي واعلم الملكة بوجود كاهن شرقي في المدينة ، عليه امارات النسك والقداسة واشار عليها بان تدعوه ليصلي في غرفة ابنتها عسى الله يمنّ عليها بالشفاء بواسطته ، ففعلت وما انتهى القس سركيس من الصلاة حتى شعرت المريضة بتحسن وما لبثت ان تعافت فما اعظم ما كان انذهال الملكة من هذه العجيبة وما كان اشدّ فرحها ، فاستحضرت الراهب واستوضحته سبب مجيئه الى بلادها ، فاخبرها بالامر بصراحة وسذاجة. فتأثرت وامرت ان يعطى كل ما يرغب من الآنية الكنسية على نفقتها . قال صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية : فطلب القس سركيس اولاً جرساً فاخذه وكان جميل الصوت جداً « وحتى الآن لم يوجد مثله في الشرق كله في رياقة رنّته المطربة الشجية المشتقة اذان سامعيها وصداه يميل بسامعه للترنح والترنم[2] ثم صنع عدة كاسات منها ما هو غريب الصناعة والظرافة وشمعدين ثمينين جميلي الصورة وحلة بدلات وغفارات منها هو غالي الثمن محكم النسج[3] وبيت جسد من الصناعة المعتبرة والهندسة الجميلة[4] وشمعدين وصوراً معتبرة وخلاف ذلك من الاواني الكنسية وارسل الجميع قبل حضوره وقد جمع كمية وافرة من

---

١) قد تكون المريضة ماري انطوانيت ، زوجة لويس السادس عشر ، ملك فرنسة . وُلدت سنة ١٧٥٥ وتوفيت سنة ١٧٩٣ .

٢) انصدع هذا الجرس من سوء الحظ سنة ١٨٨٩ ، بنزول صاعقة انقضّت عليه وعلى خورس الكنيسة ، ولا تزال آثارها ظاهرة الى يومنا ، وقد عُهد الى بني نفاع من بيت شباب ان يصبّوا جرساً غيره .

٣) لا يزال قسم من هذه الامتعة موجوداً في الدير .

٤) ان باب هذا البيت المقدس من الفضة المحض ، طوله نحو نصف ذراع ، وعليه كتابة باللغة الالمانية الفديمة مؤرخة سنة ١٧٧٠ ، تتضمن اسماء بعض المحسنين يطلبون الصلاة والذكر الدائم في الذبيحة . وهذه الكتابة مغطاة بصفيحتين من الفضة ايضاً عليهما كتابة بالكرشوني نقلها بحروفها : « سيدة الحلة وقف الدير ، سنة ١٧٧٠ ، انا العبد الحقير القس سركيس المشقوقي ، متوجّي فضلكم بالصلاة والقدار الى المحسنين اليك »

الدراهم غير انه قد عاجله المنون ودُفن هناك واضحى المال المجموع منه غير محصّل »[1] . وقد وقفت على اعلام من البطريرك يوسف اسطفان يتعلق بهذا الموضوع ، وهذه حرفيته : « انه متوجه الى فيانا مدينة قيصر الملك المظفر ولدنا العزيز القس يوسف ديب نائب حضرة ولدنا الاب موسى رئيس دير سيدة الحقلة المكرّم لكي يداعي على متخلفات المرحوم اخيه القس سركيس المشقوتي الذي كان راهب في الدير المذكور فالقس يوسف المشار اليه متعاطي فيما يخصّ درجته من تقديس الاسرار وحل الاوزار غير محروم ولا مربوط ولا ممنوع ولذلك قد اصحبناه بهذه الباطنتا شهادة بيده ليكون مصدقاً عند الجميع من الابناء المسيحيين المباركين الموجودين في كل بلد ومكان تحريراً في ١ نيسان سنة ١٧٨٨ مسيحية »[2] .

وفي سنة ١٧٦٨ رفع كهنة دير سيدة الحقلة ، وعددهم ١٢ ، عريضة الى الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر يطلبون فيها ان يمنح المذبح الملكي في كنيسة ديرهم « اتمام المذبح المتاز » وذلك مؤبّداً فتنازل واجاب الملتمس ببراءة لا تزال موجودة في الدير .

ولما الغى البابا بيوس السادس ، سنة ١٧٧٩ ، جمعية الراهبة هندية المسماة « اخوية قلب يسوع الاقدس » خرجت الراهبات من دير بكركي ، فاقامت هندية مدة عند انطون الجاماتي في عينطورا . ولما انتخب المطران يوسف التيان بطريركاً امر بنقلها الى دير سيدة الحقلة ، فقضت فيه سنيها الاخيرة بالتربة والدموع والتقوى ، وتوفيت فيه سنة ١٧٩٨[3] . وفي سنة ١٧٨١ ، تولى الخوري موسى ديب ، المصوّر المعروف ، رئاسة الدير خلفاً لعمّه . وبنى سنة ١٧٩٧ في خراج دلبتا في المكان الموقوف من ابناء عائلته ديراً جديداً باسم المخلص ، ويسميه الاهلون « دير العفص » ، وعين فيه رهباناً لحراثة الارض . ثم حدث

---

١) الخوري منصور الحتوني : المقاطعة الكسروانية ، ص ١٨٤ و١٨٥

٢) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ٨٤٧

٣) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ٧٣١ و٩٢٧ و٩٥٨

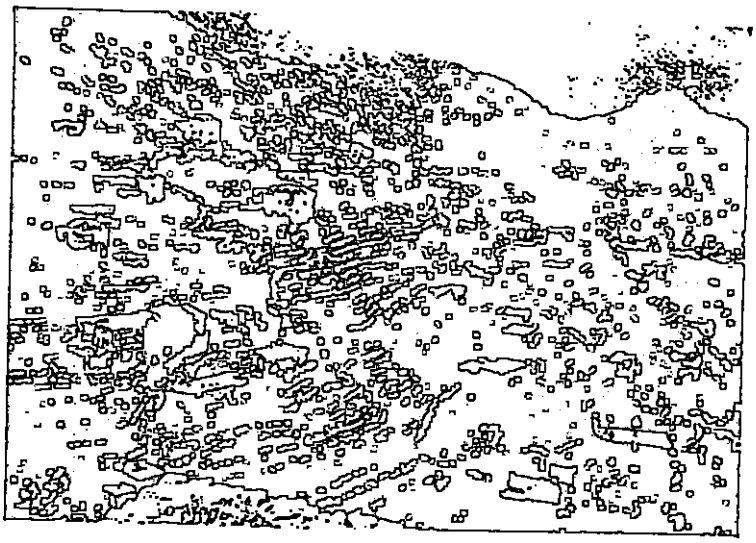

دلتا من الجهة الشرقية

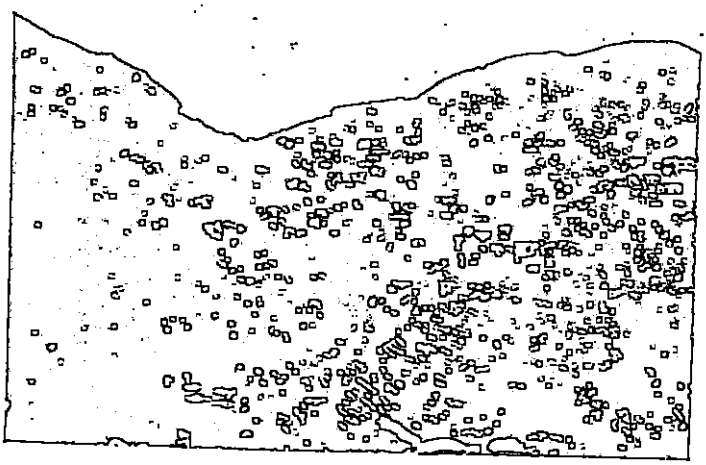

مدخل دلتا من جهة غزير

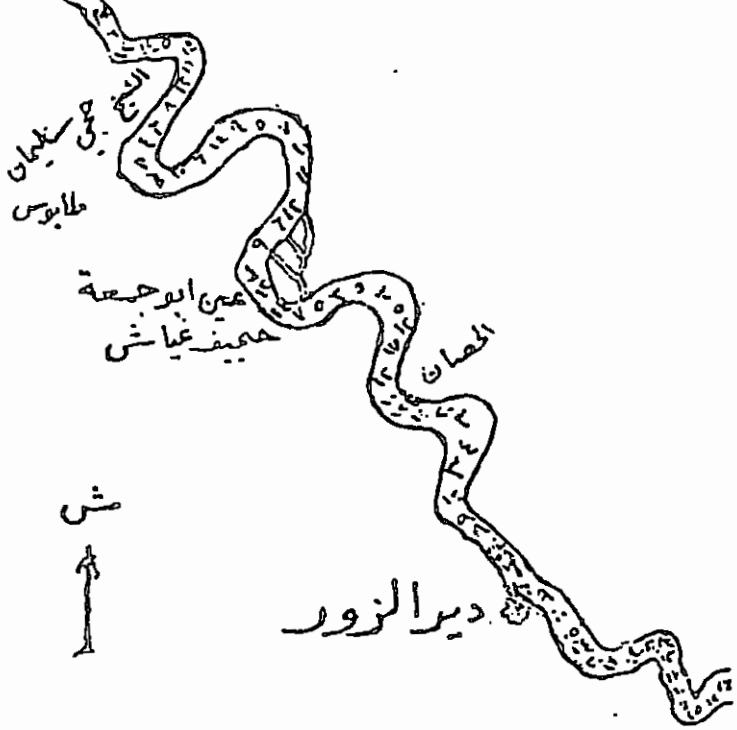

اعماق الفرات في جوار دير الزور

من الدير الى الشمال ، الارقام تدل على عدد الاقدام (القدم الانكليزية تزاوي ٣٠ سنتيمترًا) في ايام هبوط المياه سنة ١٨٦٠ ومن الدير الى الجنوب على عددها ايام ارتفاع المياه سنة ١٨٣٦

دير الزور القديمة

تشويش واختلاف في الدير في ايامه ، فاوقفه عن استعمال الوظيفة البطريركية يوحنا الحلو ، وسمّى وكيلًا على الدير بدلًا منه الخوري يوسف واجبي الخازن . وفي تلك الاثناء عزم البطريرك ، بالاتفاق مع القاصد الرسولي لويس غندولفي ، على تحويل الدير الى مدرسة اكليريكية للطائفة غير انه قد حال دون تحقيق هذه الفكرة صعوبات [1] . وفي سنة ١٨١٨ التأم مجمع اللويزة وحتم بان يكون دير سيدة الحقلة لسكنى الراهبات ، ودير سيدة مسيتا للرهبان . وارجع الخوري موسى ديب وكيلًا على دير سيدة الحقلة ، وسمى رئيساً على رهبان دير مسيتا القس طانيوس التحومي [2] . وبعد ذلك قرّر لعائلة ديب حقّ الولاية على الدير وملحقاته وقد اثبت الكرسي الرسولي اعمال هذا المجمع في السنة التالية اي سنة ١٨١٩ . وبعد وفاة الخوري موسى سنة ١٨٢٦ ، وقعت مخاصمات وانشقاقات اضرت باحوال الدير . ولما انتخب المنسنيور يوحنا ديب رئيساً في اوائل هذا الجيل ، اراد ان يجدّد كل قديم في بنايات الدير واملاكها ، فانجز قسماً من ذلك القسم والقسم الآخر حالت دون تحقيقه الحرب الكونية ، كما تقدمنا وذكرنا ذلك في غير هذا المكان . وبعد ان توفي سنة ١٩٣٠ ، انتُخب خلفاً له الخوري اسطف بطرس ديب الذي يبدي كل اجتهاد في احياء وقف اجداده ، كلل الله بالنجاح مساعي كل عامل للخير .

---

١) سجلات البطريركية المارونية : المجلد الثاني ، ص ١٠٤٦ و١١٤٢ . جارور البطريرك يوحنا الحلو عدد ١١ و٢٨ و٣٩ و٥٤ و١٠٠ و١٨٨ و٢٦١ الخ .

٢) سجلات البطريركية المارونية : جارور البطريرك يوحنا الحلو عدد ٣٥٢

(لها بقية)